# الإسلام دين الله لا هو متطوّر.. ولا متحجّر.. ولا طيّع متغيّر

أ. بوعلام باقي*

غريب والله أمر المسلمين لقد أفسدوا دنياهم، فضاع منهم كل ما كان بهم من قوة وعزوهم يسعون لإفساد دينهم فيذهبون عنه كل ما فيه من قدسية ومن عظمة فلم يظلم الإسلام في عصر من العصور مثلما يظلم الآن، ولم يحكم المسلمون أهواءهم في شرع الله في يوم من الأيام مثلما يفعلون الآن إذ أصبحت الفتوى في متناول كل متطفل كذاب، وكل متشدق جذاب، وزاغ حتى بعض العلماء فصاروا يبررون بفتاويهم كل أمر مرتاب، وضاع الصحيح من الشريعة بين منحرف ومحترف ففقد الناس الرجل الأمين الذي يبين لهم حقيقة الدين ويهديهم بحق إلى صراط العالمين، واتسع الخلاف لا في الأمور الجسيمة التي تتعلق بحياة الأمة فحسب بل حتى في الأمور البسيطة التي ملئت بها كتب الفقه حشوا ولا يتركها الكثير من الناس إلا سهوا، فالحياة قد تطورت ولم تبق كما كانت عليه من قبل والناس قد تغيروا فقل فيهم من يقيّه نفسه الدين، ويعلم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحلال بيّن فلا يحرم منه نفسه وأن الحرام بيّن فيجتنب عينه وأن بينهما مشتبهات فلا يقرب منها إلا ما تطمئن له نفسه مستبرئا لدينه وعرضه وقليل منهم من يرى الدنيا مطية الآخرة فيحسن ركوبها ويحذر خطوبها ولا يسلك فيها سبيل الذين سلبت عقولهم ففتنتهم

---

* أستاذ ووزير سابق.

بزينتها وبهرهم بزخرفها فانقادوا لها انقياد الأعمى لا يهمهم أين يضعون أقدامهم وهكذا انقسم الناس مللا، وتفرقوا نحلا، والكل منهم يرى الحق في جانبه ويحصر الإسلام فيما يفعل دون صاحبه وظهر في الساحة قوم آخرون لا يرون الإسلام إلا حسب أهوائهم وما اختاروا مَن العيش فهم يكيفونه تكييفا ويفتون فيه بآرائهم تزييفا ويستشهدون في ذلك بما نقلوه تحريفا منهم طائفة تريد الإسلام متطورا فهي لا تراه إلا مسايرا للحياة في تقدمها وانفتاحها تزيح عن طريقها كل حاجز من الدين حتى لا يخالف الدين الحياة فهي للناس من الله نعمة يتمتعون فيها بكل أنواع المتعة ويمرحون فيها بكل أنواع المرح ويبقى الدين بين العبد وخالقه إن أطاع وإن عصى وما دامت الضرورة تبيح المحظورات فكل شيء عندهم مباح ولو بحكم الضرورة وطائفة أخرى تأبى إلا أن يبقى الدين متحجرا فترفض من الحياة كل ما ماجد وتحرم كل ما لم تجد له أثرا عند السلف فترى في كل جديد بدعة ولا ترضى للخلف إلا ما كان عليه السلف لا في علو همته وصدق إيمانه وسمو تفكيره بل في شظف العيش وطريقة الحياة وفاتها أن السلف كان على ذلك النمط لقلة المؤونة ولو مع كثرة المعونة وللرزق المحدود لا زهدا في الموجود كما فاتها أن الأولين من السلف كانوا يتدارسون كتاب الله ويفقهونه ويتلون قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا في الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ﴾[1] لكنهم كانوا في قدر من الرزق كانت يدهم قصيرة والغنائم التي كانت تقسم عليهم معدودة حتى أنهم نازعوا الخليفة عمر بن الخطاب في لباس كان أطول مما أعطي إليهم ورحم الله الإمام جعفر الصادق

1. سورة الأعراف، الآية 32.

إذ قال له أحدٌ ما كان جدك يلبس هذا يا ابن رسول اللهً وكان الإمام جعفر يرتدي حلة رفيعة فأجابه إن جدي يعيش في وقت كانت الدنيا فيه مدبرة أما وقد أقبلت فالصالحون أولى بمتاعها من غيرهمً ومثله كان الأئمة الأربع رضي الله عنهم في التزيّن وحسن اللباس ومن هنا تتجلى مسؤولية العلماء وهي أخطر من سواها لأنهم ممن نورّ الله قلوبهم بالعلم وأراد بهم خيرا ففقههم في الدين تراهم أكثر الناس ثوابا إن هم بينوا وأرشدوا وأشد الناس عذابا إنهم أضلوا وجحدوا بدليل ما ورد في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً وما ورد في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نارً فالعلماء ورثة الأنبياء إذا انتفعوا بعلمهم ونفعوا به الناس وهم أعوان الشياطين إذا غيّروا وبدّلوا وسايروا الناس في أهوائهم تملقا أو طاوعوا الحكام تقربا فبيّضوا سوادهم وحسّنوا خطأهم وزيّنوا سيئهم ولفقوا أعمالهم مهما كانت شنيعة مررا من الشريعة فأصبح الدين عندهم طيّعا يسخّرونه لخدمة أغراض من يريدون تسخيرا فهم للحكام خدم ولغيرهم من الناس مثل العدم بل شر من العدم لأنهم يهدمون مرح الدين هدما فتساوت في أعينهم الفضيلة إذا ما طالب بها العوام، الرذيلة إذا ما وقع فيها الحكام فهم على الأولين لا يثنون وعلى الآخرين لا ينكرون فبقي الناس حيارى لا يعرفون ما هو صواب وما هو خطأ ما هو من الدين وما هو من العادات والتقاليد بسبب تعدد الفتاوى وتناقضها واختلاف الآراء وتباينها ما هو من صميم الدين عند هذا تجده محرما عند الآخرين

وما يعتقده هذا مستحسنا يراه غيره بدعة ضلالة وهو لا يرى البدعة إلا كذلك غير مكترث بما ورد على لسان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال نعمت البدعة هذهً في صلاة التراويح، وقد بالغ بعض الذين يدّعون أنهم علماء في الاستخفاف بالفتوى فقال أحدهم أنه يجوز الاستعانة بالكافر على المؤمن لمد عدوانه وأن لهذا الكافر مثل ما للمؤمن المحارب من الأجرً ناسيا أن قتال المسلم كفر، وأن الاستعانة في قتاله ورد عدوانه بالكافر أشد كفرا وأعظم وزرا وأن الله أمر المتقاتلين من المؤمنين باللجوء إلى الصلح كما أمر المؤمنين وحدهم بقتال الباغي الرافض للصلح ولم نعثر في تاريخ الإسلام أن الرسول الأعظم أو أحد الخلفاء الراشدين من بعده استعان بكافر ولو كان من أهل الكتاب على مؤمن في أية حالة من الأحوال وأفتى آخر بأنً حلق الحية أقبح ذنبا من الزنا وشرب الخمرً ! ناسيا أن الزنا والخمر من المحرمات التي نصت عليها آيات الله البينات وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيهما لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب أحد الخمر حين يشربها وهو مؤمنً فأين هذا من اللحية التي اتفق الجميع بأن إرسالها من السنة واختلف العلماء في حلقها وذهب كثير منهم إلى أنه مكروه يثاب على تركه ولا يعاقب على فعله. ألا فليعلم هؤلاء وأولئك أن الإسلام في يسره وسماحته رضيه الله للناس دينا وأكمله لهم برسالة خاتم النبئين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وجعله صالحا لكل زمان ومكان فكل من أراده متطورا أو متحجرا أو طيعا متغيرا ليس على هدى من الله وما هو إلا من الذين فسدت قلوبهم فانكشفت عيوبهم لئلا يغتر بقولهم مغتر ولا يلجأ إلى رأيهم مضطر.